ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

«الشهادة والسيادة» والحضور الدائم للشهداء القادة

عادل الجبوري

في هذا العام، وكما هو الحال بالنسبة للأعوام الأربعة الماضية، حظيت الذكرى السنوية لاستشهاد قادة النصر، الشهيد الحاج أبي مهدي المهندس، والشهيد الحاج قاسم سليماني، باهتمام استثنائي كبير من قبل مختلف الأوساط والمحافل الشعبية والسياسية والنخبوية العراقية، وتجلى ذلك الاهتمام الاستثنائي، بالعديد من المظاهر الاحتفائية التي اتخذت أشكالاً وصورًا مختلفة، تحت عنوان شامل وواسع هو «الشهادة والسيادة".

ولا شك أن مظاهر إحياء ذكرى الشهيدين القائدين الكبيرين، عكست وأوضحت حقائق في غاية الأهمية.

تمثلت الحقيقة الأولى في أنَّ هذين القائدين اضطلعا بأدوار حاسمة ومحورية في الحرب ضد الإرهاب، وضد القوى الخارجية التي كانت، وما زالت، تسعى لفرض مشاريعها وأجنداتها التوسعية وتمرير مؤامراتها، عبر مختلف السبل والأدوات والوسائل، ولم يقتصر نطاق عملهما ونشاطهما على العراق فقط، بل امتد حيثما كان للإرهاب التكفيري وجود وموطئ قدم، وكان يشكل خطرًا وتهديدًا للشعوب والمجتمعات الآمنة والمسالمة، كما هو الحال في لبنان وسورية واليمن والعراق وإيران وأفغانستان، وغيرها.

أما الحقيقة الثانية التي عكستها مظاهر إحياء ذكرى استشهادهما، فقد تمثلت في أن الشهيدين الكبيرين، أسسا لمنهج متطور وعملي وفاعل للمقاومة، كان من أبرز ثماره القضاء على تنظيم «داعش» الإرهابي والحاق الهزيمة به في العراق بغضون ثلاثة أعوام ونصف عام، فيما كان الساسة والقادة العسكريون والخبراء الأميركيون والغربيون يقولون إن القضاء على «داعش» يتطلب ثلاثين عاماً!.

وهذا المنهج المتطور والعملي والفاعل تكامل مع منهج حزب اللَّه اللبناني المقاوم، ومع منهج القوى والحركات الفلسطينية المقاومة المتصدية للكيان الصهيوني، ومع منهج حركة «أنصار اللَّه» اليمنية وغيرها، ليشكل جبهة واسعة ومؤثرة ومقلقة للأعداء، برزت وتجلت مصاديقها بصورة واضحة جدًا في معركة «طوفان الأقصى» التي كشفت عن ضعف

وخواء وهشاشة الكيان الصهيوني الغاصب.

بينما تمثلت الحقيقة الثالثة في أن قيام الولايات المتحدة الأميركية باستهدافهما وتصفيتهما، وبصورة علنية فاضحة، أكد بما لا يقبل الشك أن هناك أوجه ترابط وتخادم والتقاء بين مصالح واشنطن وحلفائها من جهة، والجماعات والتنظيمات الإرهابية التكفيرية من جهة أخرى، سواء تمثلت تلك الجماعات والتنظيمات بتنظيم «القاعدة» أو «داعش» أو سواهما من العناوين والمسميات العديدة المختلفة.

وقد أشارت مظاهر الإحياء الواسعة إلى خطأ حسابات الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها وأصدقائها وأدواتها في المنطقة والعالم، حينما تصورت أنه باستهدافها وتصفيتها هذين الرجلين، إنما تكون قد نجحت في ضرب محور المقاومة في الصميم، وبالتالي أنهته، لكنها لم تدرك أن ما صنعه القائدان الشهيدان ليس ممكناً له أن ينتهي ويزول، وإن غابا عن المشهد واختفيا من الميدان، لأن العبرة تكمن في بقاء وديمومة المنهج والمبدأ. وفي ما بعد صدق نفس الشيء مع استشهاد الأمين العام لحزب اللَّه اللبناني السيد حسن نصر اللَّه، ومع استشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) الشهيد إسماعيل هنيه، ومن ثم خليفته الشهيد يحيى السنوار، والعديد من القادة الآخرين الذين استهدفهم الكيان الصهيوني خلال معركة «طوفان الأقصى»، وحتى قبلها.

ولعل هناك نقطة جوهرية تتمثل في أنَّ الولايات المتحدة الأميركية التي لم تتوقف يوماً عن الادعاء بأنها تحارب الإرهاب «الداعشي» التكفيري، أقدمت على استهداف اثنين من أبرز القادة الذين تصدّوا لتنظيم «داعش»، ليس في العراق فحسب، إنما في ميادين ومواقع ودول أخرى أيضاً، وكان لهما دور فاعل ومؤثر جدًا في إلحاق الهزيمة به.

وطبيعي أن ذلك التناقض الفاضح، والازدواجية الفجة بين أقوال أميركا وادعاءاتها وشعاراتها من جانب، وأفعالها وسلوكياتها من جانب آخر، كشفا مرة أخرى عن سياساتها الانتهازية المنافقة وبراغماتيتها الضيّقة، ولا يعد ذلك أمراً جديداً أو مفاجئاً لمن يعرف حقيقة السياسات والمواقف الأميركية على مرّ التاريخ ويفهمها ويدركها، ولا سيما منذ تحولها إلى قوة دولية كبرى بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) على أنقاض أمجاد بريطانيا العظمى وفرنسا.

أضف إلى ذلك، أن الولايات المتحدة الأميركية انتهكت كلّ الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية، من خلال استهدافها سليماني والمهندس على أرض العراق، فهي لم تحترم السيادة الوطنية العراقية، ولم تأخذ بعين الاعتبار أنَّ أحد الأشخاص الذين استهدفتهم، وهو الشهيد قاسم سليماني، كان ضيفاً رسمياً، وجاء بدعوة من الحكومة العراقية، وأن الشهيد أبا مهدي المهندس كان مسؤولاً رفيع المستوى في مؤسسة أمنية حكومية تعمل ضمن سياقات الدولة العراقية، وتحت إمرة واشراف القائد العام للقوات المسلّحة.

ومثلما كانت صدمة فقدان قائد ميداني كبير في الحشد الشعبي كأبي مهدي المهندس، ثقيلة وشديدة الوطأة على العراقيين، فإنَّ فقدان القائد قاسم سليماني شكّل صدمة مماثلة للإيرانيين، وإن اختلطت وامتزجت مشاعر فقدانهما بين العراقيين والإيرانيين.

وكما مثّل إنهاء الوجود الأجنبي، الهدف المحوري للقادة الشهداء، فإنه سيبقى يمثل الأولوية، مهما حاولت واشنطن التهرب والمراوغة والخداع والتضليل، ويبقى هدف استعادة السيادة الوطنية الكاملة هو مطلب عموم العراقيين، وبالتالي فإن دماء الشهيدين المهندس وسليماني وكل الشهداء، ستظل نبراساً ومناراً يعبد الطريق نحو تحقيق الأهداف الكبرى، ونحو ترسيخ قيم العزة والكرامة والإباء والصمود، وإفشال كل ما تخطط له وتريده وتسعى له واشنطن و«تل أبيب» وعواصم أخرى.

ومما لا خلاف ولا اختلاف عليه، هو أن أحد أبرز عوامل ومقومات عدم التفريط بالمنجزات والانتصارات المتحققة، يتمثل في الحفاظ على إرث القادة الشهداء، واستلهام الدروس والعبر من تضحياتهم ومآثرهم، وجعلهم حاضرين دوماً في مسيرة حياتنا، وعدم الاكتفاء بجعل ذكرى استشهادهم مناسبة احتفالية سنوية، تلقى فيها الخطب والكلمات والأشعار، وتقام فيها الاحتفالات والمهرجانات والمعارض والندوات فحسب.

إعادة ترتيب الإقليم والمقاومة في القلب

د. جمال زهران

الإقليم العربي والشرق أوسطيّ، يمرّ بحالة مخاض شديدة، ستقود إلى إعادة هيكلته، بصورة مختلفة عما هو حادث الآن، الأمر الذي يستدعي المسارعة بالتفكير الجدّي بالسعي الدؤوب لمواجهة شاملة وفي قلبها محاولة تفادي حجم الخسائر الضخم، المتوقع حدوثها باحتمالات كبيرة.

حتى تطوّرت الأمور لحرب شاملة لمدة شهرين بين حزب اللَّه والكيان الصهيوني – المدعوم كاملاً من الاستعمار الأميركي بإداراته المختلفة (ديموقراطي/ جمهوري) ولا فرق بينهما، فكلهم موجودون في كراسيهم بإرادة الصهيونية والماسونية العالمية، وقوى الرأسمال في الغرب الاستعماري. وانتهت

فالبداية كانت في الهجوم الصهيونيّ والمستمر حتى الآن على غزة (١٥) شهراً متصلة، وتحويل غزة إلى مكان غير صالح للحياة، وفي الأخير، فإنّ العدو الصهيونيّ قد قام بتدمير ثم حرق مستشفى كمال عدوان، بعد قتل الأطباء وهيئات التمريض المساعدة، وحتى العمال، والمرضى، عمداً، صباح الجمعة الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٤م، في إطار المجازر وتدمير المشافي وغيرها.

وفي المقابل، صمود أسطوريّ لشعب فلسطين في غزة، وصمود أسطوريّ للمقاومة التي كبّدت العدو الصهيونيّ خسائرَ ضخمة، تتوازى مع خسائر شعب غزة البشرية والمادية، من حيث قيمتها لدى العدو. وبدأت جبهات الإسناد في جنوب لبنان، هذه الحرب بتوقيع اتفاقية لوقف إطلاق النار، بقرار أميركي مباشر حيث أعلن بايدن بنفسه ذلك، وفرض ذلك على الكيان الصهيوني، ورئيس العصابة (النتن/ياهو)، ليلة ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني)، وهو اتفاق أعتبره مؤقتاً، لأنّ الكيان الصهيونيّ، يرفضه أصلاً، ولكن اضطر للتنفيذ بأمر أميركيّ، وبدأ من البداية حتى الآن الالتفاف عليه، حتى أنّ النتن/ياهو، يعلن أنّه لن يوافق على مهلة الـ (٦٠) يوماً للانسحاب الكامل من نقاط احتلاله في الجنوب اللبناني، مما يجعل من الرجوع إلى استمرار القتال على الجبهة اللبنانية، أمراً محتملاً بدرجة كبيرة، ولعلّ حجم الخروقات الصهيونية التي اقتربت من الألف، خير دليل. ولكن قد تمخّض عن ذلك، توقف الجبهة اللبنانيّة عن كونها جبهة إسناد لغزة، وفقدت غزة جبهة كانت تستوعب جزءاً من الجيش الصهيوني، قدّره سماحة السيد حسن نصر اللَّه في أولى خطبه عقب طوفان الأقصى، أنّ الجزء يصل إلى الثلث. الأمر الذي قاد إلى تكثيف الهجوم الصهيوني على غزة.

إلا أنّه بعد التطورات في سورية، تحوّل الكيان الصهيوني إلى تدمير كامل للجيش العربي السوري، والتحرّك نحو احتلال أجزاء من سورية في الجنوب (درعا وقراها)، واحتلال جبل الشيخ والقنيطرة؛ وهو سيشغل جزءاً من الجيش الصهيونيّ لبعض الوقت، حتى أضحت سورية جبهة مضادة لغزة ولبنان، وسيطرة صهيونيّة في مواجهة عدو سوري سابق، للأسف!

إلا أنّ الجبهة اليمنيّة اشتعلت بكثافة، بعد توقف حذر لجبهة الإسناد من المقاومة العراقية، دون معرفة الأسباب، واشترطت هذه الجبهة اليمنية توقف ضرب الكيان والأسطول الأميركي، مقابل توقف العدوان الصهيوني على غزة، وهو المستمر بلا قيود، ودون ردع حتى الآن. ورغم الهجمات الأميركية والصهيونية والبريطانية على اليمن، إلا أنّ هذا أسهم في زيادة وتكثيف الضربات اليمنية ضدّ مطار «بن غوريون»، وما حوله، في إطار قواعد الاشتباك التي يفرضها اليمني، بقوته العسكرية (المطار مقابل المطار)، وهكذا. فاليمن لم يرتدع ولن يرتدع، والكيان الصهيونيّ لم يرتدع ولن يرتدع إلا بالمقاومة والقوة العسكريّة، وفقاً لطبيعته.

ويشير الواقع، وفي ضوء الوقائع الجديدة، التي أشرت إليها، إلى أنّ إعادة الهيكلة للإقليم حتميّة، ولا سبيل إلا الاستيعاب والقفز على ما يتمّ فرضه.

فالعدو الصهيونيّ، يسعى إلى فرض أجندته، والشرق الأوسط الجديد، الذي أعلن عنه النتن/ياهو، تحت سقف الجمعيّة العامة للأمم المتحدة في ٢٧ سبتمبر/ أيلول الماضي (٢٠٢٤م)، أنّ هناك خريطة جديدة للشرق الأوسط ورفعها تحت القبة، وقسم الدول في الإقليم، إلى قوى الشر، وقوى داعمة للمشروع الصهيونيّ وهي «قوى الخير» بالنسبة له، ولكيانه، وللداعمين له.

فلو لم يكن هذا التصور من النتن/ياهو، قد تمّ التصديق عليه، وقبول تنفيذه من أميركا وحلفائها في أوروبا، وفي الإقليم، ما كشف عن هذا النتن/ياهو، بالصورة الفجة التي أعلنه بها، مرة تحت سقف الكونغرس الأميركي، والمرة الثانية، تحت سقف الأمم المتحدة، وظهرت هذه المنظمة، بلا إرادة على مواجهة هذا الكيان العضو المارق، الذي يستحق فصله وإسقاط عضويّته من الأمم المتحدة، وكان يستوجب على الأمين العام للأمم المتحدة، وأيضاً رئيس الجمعية العامة لهذه المنظمة، أن يرفض ما أعلنه هذا النتن/ياهو، تحت قبة الجمعية العامة باعتبار أن ذلك إعلان بالعدوان والهجوم والحرب، رسمياً!

والسؤال الذي يفرض نفسه، في مقابل ما يسعى إليه هذا النتن/ياهو، ومشروعه الاستعماريّ الجديد المدعوم أميركيّاً وأوروبيّاً، بل وإقليمياً، هو: هل هناك مَن سيتصدّى له دولياً وإقليمياً، وموقع المقاومة في قلب ما هو آتٍ حتماً؟

فالمشهد الحالي، هو خسارة كبيرة لمحور المقاومة، بخروج سورية وحياد العراق، وخروج ساحة الجنوب لدعم غزة، وفي المقابل كسب ساحة المقاومة التي نعوّل عليها كثيراً، في اليمن، فضلاً عن استمرار الصمود في غزة وفي الضفة التي تشتعل ببطء وحذر وتردّد. فضلاً عن إيران، الراعي الرسمي لمحور المقاومة، يُعيد تقييم الموقف، والخطاب الرسميّ يتركز في أنّ مفاجآت قريبة ستقع في المنطقة. لكن الحق يُعلن بأعلى صوته بأنّ المقاومة قد خسرت بعض الشيء، ولكنها لم تنهزم، ولا تزال محتفظة بقوتها، وحيويتها. ولعلّ قوتها في استمرارها كوجود، واستمرار فعاليتها، مع تغيّر الساحات، وإلى حين، بطبيعة الحال. فقد تخسر المقاومة، بعض المواجهات هنا أو هناك، ولكنها لا تنهزم، ولن تنهزم، بل ستنتصر. فالأفكار لا تموت، والمقاومة كفكرة لا تموت، ولن تموت، وستظلّ الفكرة حتى تحقيق الأهداف النهائيّة.

كما أنّ المقاومة كوجود، وتجسيد لإرادة الفكرة، هي التي تخسر في المواجهات، بعضها وليست جميعها، وفي النهاية تنتصر. والذي يؤكد ذلك انتصار جميع حركات المقاومة في العالم، ومن الشرق إلى الغرب. وإنْ تراجعت المقاومة في الميدان، فلأسباب تكتيكيّة، ومؤقتة، لكن الاستراتيجيّة، تجعل من المقاومة إلا أن تتقدم بعد حين.

فالمقاومة في الميدان، شأن كلّ ما هو عسكري، تلتزم بنظريّة «الكر والفر»، أو «التقدم والتراجع»، وهي محكومة بـ «المد والجزر»، حتى تنتصر، وهو المؤكد. ومن يشكك في هذه المقولة، فلينظر في تجارب المقاومة الكبرى (فيتنام: ١٩٦٥ – ١٩٧٣م)، والجزائر (١٩٥٤- ١٩٦٢م)، وجنوب أفريقيا، حتى التسعينيات من القرن الماضي لم تكن قد تحرّرت إلا بالمقاومة الشاملة، حتى انحنى الاستعمار الأبيض، الأوروبيّ الأميركيّ!

ولا شك في أنّ المقاومة، قد أشرفت على النصر الشامل، وتدمير الكيان الصهيونيّ كاملاً ومن الوجود، لو استخدمت الصواريخ الكبرى، وكتبت عدة مقالات هنا، عدّدت فيها الأسباب تحت عنوان: «اليوم.. وليس غداً»، ولكن للميدان مجاله، ومعلوماته، وتقديرات العاملين فيه. ولذلك أرى أنه قد تأجّلت لحظة إعلان نصر المقاومة، وإلى حين، ولكنها لم تنهزم، ولم تنتصر حتى الآن كاملاً، وسط خسائر وإنْ بدت كبرى، فهي صغرى ومحدودة. وفي السياق العام للمقاومة، ومقارنة بحجم الخسائر الضخمة التي تكبّدها العدو الصهيونيّ. ويكفي للتدليل على ذلك، حالة الرعب التي يعيش فيها الصهيونيّ داخل الكيان، على كافة المستويات، وهي حالة غير مسبوقة، الأمر الذي يجعل المقاومة واثقة في النصر، الذي نراه قد اقترب وإنْ تأجل بعض الوقت.

ولذلك، فإنّ الإقليم الذي يغلي من الاشتعال، في طريقه إلى إعادة الهيكلة وإعادة الترتيب، وقد تسقط أنظمة وتتبدّل، لكن المقاومة سيزداد اشتعالها بعد ترتيب الأوراق والاستعداد لما هو آتٍ.

كانون الثاني... «والمَيّة تكذب الغطاس»

ناصر قنديل

تزدحم استحقاقات شهر كانون الثاني أول شهور العام الجديد، داخلياً وخارجياً، وإذا كان الحدث اللبناني الأبرز هو جلسة انتخاب رئيس للجمهورية في التاسع من هذا الشهر، فإن الحدث الدولي الأبرز هو دخول الرئيس الأميركي المنتخب دونالد ترامب إلى البيت الأبيض في العشرين من هذا الشهر، وما بين الحدثين وحولهما تساؤلات عن مصير اتفاق وقف إطلاق النار في جنوب لبنان الذي تنتهي مهلة إنجاز مراحله في السابع والعشرين من هذا الشهر، ومثله مصير مفاوضات اتفاق حول غزة يُنهي الحرب ويُنهي أزمة تبادل الأسرى في ظل تهديد الرئيس الأميركيّ بجحيم سوف يطال كل الشرق الأوسط ما لم يتمّ ذلك قبل دخوله البيت الأبيض. ويترافق مع هذه الاستحقاقات، استحقاق سوريّ معلن هو انعقاد مؤتمر الحوار الوطنيّ كنقطة انطلاق لعملية سياسية تنتهي بدستور وانتخابات.

هناك مَن يمتلك رواية كاملة للإجابة على الأسئلة المطروحة، وهو يقول إن رئاسة الجمهورية في لبنان كلمة سر أميركية، وإن وقف إطلاق النار في جنوب لبنان يعني خطة لنزع سلاح المقاومة، وإن اتفاق غزة يعني تهديداً بحرب على إيران تمثل جحيم ترامب على المنطقة ما لم تقبل حركة حماس بشروط بنيامين نتنياهو. ولا يُخفي هؤلاء قناعتهم بأن المنطقة التي توهّمت طويلاً السباحة بعكس التيار الأميركي، مع صعود قوى المقاومة فيها، قد عادت إلى الحظيرة الأميركية، أكثر مما كانت في يوم من الأيام، معتبرين نتائج حرب طوفان الأقصى من جهة والتغيير في سورية من جهة موازية إعلان نهاية زمن المقاومة وبداية العصر الأميركي الإسرائيلي الجديد، فهل هذا صحيح؟

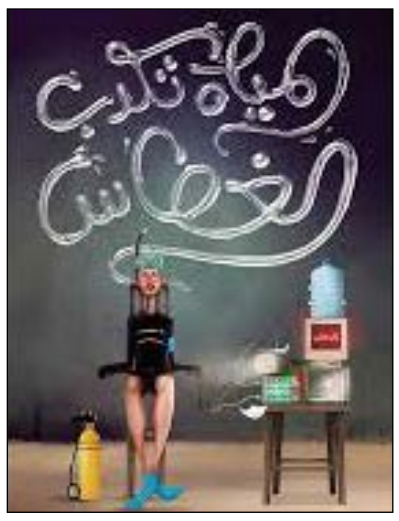

لا حاجة للدخول بنقاش مع أصحاب هذه الرواية، لأن الزمن اللازم لاكتشاف مدى صحتها قريب، وإذا كان غموض المطبخ الرئاسي اللبناني، مثل غموض الموقف الأميركي بين حديث عن دعم ترشيح قائد الجيش ودعوة للتأجيل لما بعد تسلّم الرئيس ترامب، بما يمنع الحكم على صحة الرواية في حال سلك الاستحقاق الرئاسي أي طريق، إلا أن مصير وقف إطلاق النار في لبنان ومصير التفاوض في غزة واحتمالات الحرب الأميركية على إيران، مسارات وملفات لا يمكن تجاوز مطباتها بالغموض، والمفاتيح واضحة في العناوين، وطرق فحص الرواية ظاهرة وسهلة، وكما يقول المثل المصري، «الميّة تكذب الغطاس».

إذا انتهى هذا الشهر وانسحب جيش الاحتلال مع نهاية مهلة الستين يوماً في اتفاق وقف إطلاق النار، والمقاومة تعلن بلسان قيادتها أن التزاماتها محصورة بالانسحاب من منطقة جنوب الليطاني، وتسهيل قيام منطقة لا سلاح فيها إلا سلاح الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل، أما سلاح المقاومة ومستقبل دورها فليس جزءاً من مواضيع الاتفاق وبنوده، فهذا يعني أن الاتفاق هو كما تقول المقاومة لا كما يقول أصحاب الرواية. أما إذا تعثر الانسحاب الإسرائيلي بذرائع وأعذار، فعلينا انتظار موقف الحكومة اللبنانية التي تولت التفاوض على الاتفاق، وموقف قيادة الجيش اللبناني التي تولت الإشراف على تنفيذ الاتفاق، وإن قالت الحكومة وقال الجيش إن المسؤولية في تعطيل الاتفاق تقع على عاتق الاحتلال، انتهى الأمر وسقطت الرواية.

في غزة إذا تم الاتفاق وتضمّن آليات ترتبط بالانسحاب الإسرائيلي وإنهاء الحرب سقطت الرواية، وإذا لم يتم الاتفاق ولم تقع الحرب الأميركية على إيران وتفتح أبواب جحيم الشرق الأوسط، سقطت الرواية أيضاً، وتكسب الرواية نقطة لصالحها فقط إذا تم الاتفاق وكان واضحاً أن المقاومة تخلّت فيه عن شرط أن يتضمّن سياقاً ينتهي بوقف الحرب وانسحاب قوات الاحتلال. ويبقى الأهم في غزة كما في لبنان هو هل الاتفاق يضمن إنهاء المقاومة وسلاحها، تحقيقاً لما قال الإسرائيليون إنه بات مفتاح الأمن الوجودي لبقاء كيانهم، وهو إنهاء التساكن مع مقاومات مسلحة كتلك التي نتج عنها طوفان الأقصى، وجبهة الإسناد، وما رافق كل منهما من نقل المعركة إلى الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، وتهديد أمن المستوطنات وقوة ردع جيش الاحتلال فيها. والسؤال هو هل ضمنت الاتفاقات إنهاء هذا التساكن مع المقاومات المسلحة، أم أنها أجلت مواجهة مقبلة معها فقط؟

مرة أخرى، «الميّة تكذب الغطاس».